Route Educational & Social Science Journal
Volume 6(2) ; January 2019

أسلوب السرد في الخطاب الروائي العراقي الحديث – روايات سعد محمد رحيم أنموذجاً

Narrative style in modern Iraqi novel discourse The novels of Saad Mohammed Rahim as a model

أ.د. إسـراء حسـين جـابر
Prof .Dr. IsraaHussainJaber
الجامعة المستنصرية/كلية الآداب / قسم اللغة العربية
University of Mustansiriya / Faculty of Arts / Department of Arabic Language

الملخص

تشكل الرواية العراقية الحديثة علامة فارقة في مسار التأليف الروائي ، فقد ظهرت اشكال سردية متنوعة ، نابعة من تعدد لغات واساليب واصوات فضلا عن تداخل الاجناس والموروثات الفنية والادبية والثقافية الى جانب لغة الواقع التي تتمثل في الالسن المختلفة التي تميز الشخصيات عن بعضها من حيث المواقف والرؤى والافكار والاغراض والهواجس ؛أي أن التشكيل والتنوع نجده يخدم الدلالة الاجتماعية والنفسية والفكرية .

وتختلف اساليب السرد من روائي إلى آخر ومن رواية إلى أخرى ، وقد يتخلل الرواية الواحدة اكثر من أسلوب ، فالرواية كما عهدناها نص طيع يتقبل العديد من الأساليب.

ولعل التطورات الثقافية الواسعة خلقت قناعة لدى المتلقي تكمن في رفضه للرؤية الأحادية وميله للرؤية المتعددة أو المتشعبة .

ومن خلال قراءتي لروايات سعد محمد رحيم وجدته روائيا يسعى إلى خلق سياقات متعددة داخل النسج الروائي ، فهو يحاول دائما أن يتجاوز المألوف جاعلاً من التجريب رهانه السردي .فحين تقرأ رواياته تجده يعتمد النمط القصدي في عرض الاحداث .

فهو واحد من أهم الروائيين الحداثيين الذين يحاولون دائماً أن يجددوا في شكل ومضمون الرواية فقد صدرت له اربع روايات اهمها : (غسق الكركي) و(ترنيمة امرأة ،شفق البحر) و(ظلال الجسد ..ضفاف الرغبة) واخيراً روايته (مقتل بائع الكتب) .

حاول الروائي منذ بدايته التجديد من خلال توظيف ادوات تعبيرية مغايرة عما هو مألوف ، فهو ينوع في أسلوب السرد ، ليكسر رتابة السرد الكلاسيكي ، ليُضمّن موضوعات لها أثرها الاجتماعي والسياسي والنفسي وحتى الثقافي ، إذ يجعل القارئ يتنقل بين السرد الذاتي والموضوعي وبين الحوار المباشر وغير المباشر ، فضلا عن تعدد الاصوات ، فيوظف الحوارات والاحاديث والصور واللوحات المرسومة واليوميات المكتوبة والمكالمات الهاتفية وشهادات مدونة واخرى تعرض شفاها ، واشرطة مسجلة ورسائل بريد الكتروني وورقي ، فضلا عن الحلم مما يعطي للسرد طعما مختلفاً له طاقته التأثيرية بالقارئ ، إلى جانب إعتماد التمويه والمفارقة والمفاجأة لشد ذهن القارئ واثارة تساؤلاته .

وهذا ما استدعى ان نقسم الدراسة على ثلاثة محاور وهي :

١. مدخل الى اسلوب السرد الروائي
٢. تحولات الاسلوب في الرواية العراقية قبل وبعد ٢٠٠٣
٣. اسلوب الخطاب الروائي في روايات سعد محمد رحيم

اما منهجية البحث فاعتمدت المنهج التحليلي النقدي في رصد وتحليل اشكال السرد وتوضيح اهم المؤشرات الدالة التي تعكس تصنيفا نوعيا جديدا .

الكلمات المفتاحية :التجريب ،اللغة ، النص ، الشعرية ، الدراما.

Abstract

The modern Iraqi novel is a milestone in the course of novelistic writing. Various forms of narratives have emerged, stemming from the multiplicity of languages, styles and sounds, the interplay of artistic, literary and cultural genres and legends, as well as the language of reality, represented by the different tongues that distinguish personalities from one another in terms of attitudes, visions, ideas, purposes and obsessions. Thus, diversity serves social, psychological and intellectual signification.

The methods of narration vary from one writer to another and from one novel to another. More than one style can be found within the same novel, for the novel as we know is like a flexible text which can include many styles.

Perhaps the vast cultural developments created the conviction of the recipient represented in his rejection of the unilateral vision and his tendency for a multiple or a complex vision.

Through reading Saad Mohammed Rahim's novels, I find him a novelist who seeks to create multiple contexts within the narrative fabric. He always tries to transcend the familiarity by making experimentation his narrative betting. Through reading his novels, you realize his usage of intentional mode in displaying the events.

He is one of the most important modern novelists who always try to renew in the form and content of the novel. He has published four novels, the most important of which are: (Dusk of the Crane), (Hymn of a Woman… Twilight of the Sea), (Shadows of the Body… Shores of Desire), and his latest novel (Murder of the Bookseller).

The novelist tried from the beginning to be innovative by employing different unusual expressive tools. He uses diverse narrative styles to break the monotony of classical narration to insert subjects that have a social, political, psychological and even cultural impact. He makes the reader move between autobiography and object narratives and between the direct and indirect dialogue, besides the multiplicity of voices. He, therefore, employs dialogues, tales, pictures, paintings, written diaries, telephone calls, written and spoken statements, recorded tapes, and ordinary letters, as well as e-mails. He also makes use of the dream, giving the narration a different taste, which influences the reader. He makes use as well of camouflage, paradox and surprise to attract the attention of the reader and stir up his curiosity so as to start asking questions.

This is why we divide the study into three parts:

1. Introduction to narrative style.
2. Transformations of style in the modern Iraqi novel before and after 2003.
3.The style of narrative discourse in the novels of Saad Mohammed Rahim.

The research methodology adopted the critical analytical approach in monitoring and analyzing narrative forms and clarifying the most important indicators that reflect a new qualitative classification.

Keywords: experimentation, language, text, poetry, drama.

المحور الاول

مدخل الى أسلوب السرد الروائي

مفهوم السرد(*):

ان السرد ما هو الا تمثيل لساني لسلسة من الاحداث والاعمال المتتالية من خلال الزمن ضمن ايقاع ثابت ومستمر سواء أكان من صميم الحقيقة أم الخيال .

وتتحدد الحكاية او السرد الحكائي بـ((الدال او الملفوظ او الخطاب او النص السردي ذاته))[١] ايان الاحداث بالامكان ان تكون مصدرا لسرود من اجناس مختلفة ؛لذلك اتسعت مساحة السرد لتشمل كل الأخبار والتراجم والروايات، وغيرها من الأجناس الأدبية ومختلف الخطابات، حيث يمثل السرد الجزء الأساس في الخطاب؛ الذي يعرض فيه المتكلم الأحداث القابلة للبرهنة والمثيرة للجدل.

ويعدالسرد ي تمثيلا لسانيا ملازما للنص الروائي وظيفته تنظيم الاحداث والشخصيات ضمن الفضاء الروائي وذلك وفق قواعد القص وانواعه المختلفة ، فالرواية ما هي إلا ((سرد لمجموعة من الأحداث، ورصد لشخصيات ولعلاقات معينة، تحكمها مجموعة من الروابط السردية، التي تكّون عالم الرواية، لذلك لا يمكن الولوج لهذا العالم، إلا انطلاقا من الرموز التي يشكلها السرد، وهكذا يتحول مفهوم السرد، من مجرد عرض للأحداث، إلى نظام من التواصل، وصياغة جديدة للواقع الذي يتكلم عنه، وينطلق منه))(٢)

هذا الامر يجعلنا امام خصوصية النسج السردي٣ القائمة على القصدية في اختيار الاسلوب والنمط ، اذ إن الاختلاف في شكل المتن الروائي لابد له من لغة اسست له واعربت عنه، وبهذا تكون الكتابة، ممارسة انطولوجية، تتقصد التحول والتغيير، لمواءمة البنى الذهنية والاجتماعية، فإن تحديدنا للأسلوب تحديدا للغة الموظفة داخل الخطاب السردي ، وتحديدالموقع المؤلف والراوي .

(*)علم السرد قديم النشأة (منذ عام١٩١٨ علي يد إيخنباوم)، إلا أنه لم يظهر كمصطلح، إلا سنة ١٩٦٩ علي يد تودروف

(١)Figure III G.,Genette,p72

(٢)سيميائية الخطاب الروائي، حسين خمري، مجلة: تجليات الحداثة.معهد اللغة العربية وأدابها. جامعة وهران. العدد الثالث. ١٩٩٤.ص١٧٤.

٣وإنّ العناية بالسرد ولّد لدينا نظرية تعرف (بنظرية السرد) أو (السردية)، التي تعود جذورها إلى أرسطو في كتابه (فن الشعر) ، وكذلك يعود الفضل بشكل كبير في الاهتمام بنظرية السرد في العصر الحديث إلى الجهود النظرية الرائدة للشكلانيين الروس والتشيك في العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين ، وإلى أعمال البنيويين والسيميولوجيين الفرنسيين في الستينات والسبعينات من القرن نفسه، وقد كان للتطور الحاصل في الدرس السردي ، بتأثير الاتجاهين اللساني والدلالي أثر في استقامة علم السرد ، فدرس الاتجاه الدلالي أو السيميائي معنى الخطاب السردي أو دلالته ؛ إذ أولى عناية لسردية الحكاية لا للوسيلة الحاملة لها ، ويمثل هذا الاتجاه (بروب وبريمون وغريماس) ، بينما الاتجاه اللساني، أعتنى ببنية الخطاب السردي أي دراسة المحكي كصيغة للتمثيل اللفظي للحكاية ويمثل هذا الاتجاه عدد منالباحثين من بينهم (بارت وتودروف وجنيت) ، ينظر: نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير ، جيرار جنيت وآخرون ، تر : ناجي مصطفى ، ط١ ، منشورات الحوار الاكاديمي والجامعي ، الدار البيضاء ، ١٩٨٩م : ٩٧ ، وينظر: الوجود والزمان والسرد (فلسفة بول ريكور)، تر : سعيد الغانمي ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ١٩٩٩م: ٤٠

فالاسلوب هو ((مبدأ الاختيار ضمن إمكانات اللغة، والألفاظ، والتراكيب النحوية، التي تصل أحيانا إلى درجة من الدقة))(٤)

يرتبط الاسلوب بالطريقة التي تتناسق فيها الألفاظ والجمل؛ أي يرتبط بشكل الرواية الداخلي والخارجي، وما يترتب عليه من إيقاع. فإذا اعتبرنا أن المحكي، أو المقصوص، أو المسرود، هو بالضرورة قصة محكية بين راوي ومروي له، تمر عبر القناة التالية: (راوي .... مروي ... مروى له)

فإن الأسلوب إذن سيكون حينها؛ هو الكيفية التي تروى بها القصة، عن طريق القناة نفسها، أو ما تخضع له من مؤثرات، بعضها متعلق بالراوي والمروي له، والبعض الأخر متعلق بالقصة ذاتها.

ولأسلوب الرواية خصوصية اذ يؤكد باختين على ان ((تحليل لغة الرواية تحليلاً لسانياًتقليديا عمل لا قيمة له، لان اسلوب الرواية يعلو على اللغة المفردة التي يهتم بها ويتعامل معها عالم اللسانيات التقليدي))(٥)

ويرى (جاكبسون)، أن الرسالة تخلق الأسلوب(٦) ، أي انه يقر بعدم إمكانية تعريف الأسلوب خارج الخطاب اللغوي كنص يقوم بوظائف إبلاغية، في الاتصال بالناس، وحمل المقاصد إليهم.

لكن يبقى الأكيد، أن أسلوب السرد، أو كما يعرف بزاوية الرؤية عند الراوي، ما هو إلا تقنية مستخدمة لحكي قصة متخيلة، أو هو الماهية والكيفية التي ارتضاها الراوي لتقديم قصته وسرده عن طريقها، وتتحدد شروط هذه التقنية استخدامه الغاية التي يهدف إليها الكاتب عبر الراوي، وفي هذا يقول: د: صلاح فضل ((مفهوم الأسلوب في الرواية- إذن- يرتبط بجملة من الخصائص التقنية لها، مقترباً من مفهوم النمط السردي، ومبتعداً عن السطح اللغوي المباشر للنص، مع ملاحظة هذا الدور الوسيط للغة في الرواية))(٧)

إن تحديد أسلوب الكاتب يتطلب تحديد اللغة الموظفة، داخل الخطاب السردي -لأن اللغة داخل الرواية، ما هي إلا الوسيط الذي يعمل على البناء والتنظيم، وتثبيت المفردات، دون المساس بباقي عناصر السرد، أي لابد من أن تكون مستقلة بذاتها داخل الرواية - أي أنه ينبغي النظر إلى الرواية، على أنها جملة من الألفاظ والكلمات؛ ، التي تستوجب علماً قائماً بذاته لدراستها.

(٤) بلاغة الخطاب وعلم النص.صلاح فضل ، الشركة المصرية العالمية للنشر. لونجمان. ط١. ١٩٩٦ : ٣٧٥

(٥)اسلوبية الرواية ، حميد لحمداني ، دار النجاح – الدار البيضاء ، ط١، ١٩٨٩م :٧١

(٦)ينظر عبد المالك مرتاض، الكتابة من مواقع العدم(مساءلات حول نظرية الكتابة). دار الغرب للنشر والتوزيع. د. ط،٢٠٠٣. ص٨٥.

(٧)بلاغة الخطاب وعلم النص :٣٧٥

وعليه فأن دراسة الأسلوب، هي التي تحدد اتجاه الكاتب، وقيمته الأدبية؛ لأن نجاح العمل كوحدة فنية متكاملة، يعود أساساً إلى أسلوب الكاتب ذاته، حيث ينبغي عليه من أجل تميزه ونجاحه،((أن يكون قادراً على التحكم العالي في لغته، متمكناً من النسج البارع لها، واللعب بألفاظها؛ أي متمكنا من صناعة الكلام وتحبيره في درجاته العليا، ومستوياته الرفيعة، إذ الكتابة نفسها، إنما هي استكشاف للغة))(٨)

المحور الثاني

تحولات الاسلوب في الرواية العراقية الحديثة قبل وبعد ٢٠٠٣

إذا كانت الرواية ((شكل لانهائي قابل للاكتمال والتجدد ، مفتوح على مجموع الأشكال التعبيرية ، ببنية غير ثابتة ، تسعى إلى التقاط التحولات الخارجية والداخلية للكائن البشري))(٩)فلابد ان نعلم ان كل مرحلة من مرحل نشأة وتطور الرواية لها اسلوبها ولغتها التي تعكس هوية تلك المرحلة.

ولعل الحديث عن تحولات الاسلوب في الرواية العراقية بعد ٢٠٠٣ يدفعنا لنسلط الضوء على التحولات البسيطة التي صاحبت الرواية العراقية منذ نشأتها على يد محمود احمد السيد منذ عام ١٩٢٨م والى عام ٢٠٠٣ .

لا يمكن ان ننكر ان الساحة الادبية حظيت باسماء روائيين عراقيين لهم شأن واضح منذ عام ١٩٢٨ الى عام ٢٠٠٣ ، في تأسيس الرواية العراقية الواقعية ونشأتها على المستوى المحلي، اولها رواية (جلال خالد)(١٠) لمحمود احمد السيد التي عدها البعض عملا تجريبيا ، ومنهم من عدها خارج اطار التجريب ، وهنا لابد من القول ان رواية جلال خالد بالمقارنة مع روايته على سبيل الزواج تعد رواية تجريبية بامتياز ولعلي اوافق رأي القاص والروائي عبد الرحمن مجيد الربيعي في قوله بحق الرواية :

(٨) الكتابة من موقع العدم (مساءلات حول نظرية الكتابة) : ٨٥

(٩)شعرية الرواية الفانتاستيكية ، شعيب حليفي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر–العاصمة ، ٢٠٠٩ : ١٦ .

(١٠)سبقت هذه الرواية للسيد ، روايتان هما (في سبيل الزواج)عام ١٩٢١م و(مصير الضعفاء) عام ١٩٢٢م ، لكنهما تخلوان من الجانب الفني ، وتكادان تقتربان من قصص الرومانس ، اذ تهتم هذه القصص بسرد البطولات الخارقة وغير الاعتيادية ، وقصص حب نبيلة

((لمسنا فيها وعيا بأصول الفن الروائي ، وتوظيفا لتكنيك الرسائل والهوامش في بنائها ، ونجد أن هذه اللعبة التكنيكية، تستعمل الآن – أي الهوامش – في بعض الكتابات القصصية المعاصرة، على أنها إضافات تجديدية))(١١)

وبعد الاطلاع على الروايات العربية والغربية اصبحت هناك حركة تجريبية لاسيما في ثلاثينيات(١٢) القرن الماضي اهم تلك الاسماء عبد الحق فاضل الذي كانت له جهود واضحة في هذا المجال ، وكان ذلك بتأثير القصة المصرية والشامية ، واستمرار جريان التأثير الغربي في مجال القصة، فقد صدرت له رواية (مجنونان) التي سجلت ((تألقا غير اعتيادي وسبقا استثنائيا في الاستيعاب الواعي والصحيح لفن الرواية ، ولاسيما في أمثلتها الواقعية المتمثلة بالروايات الروسية والفرنسية والانكليزية التي عرفها الكاتب))(١٣) . وتوالت الاصدارات التي كانت تؤسس لتحولات بسيطة لاسيما بعد الحرب العالمية الثاني كرواية (اليد والأرض والماء) لذنون ايوب.

في ستينيات القرن الماضي ظهرت اقلام روائية تمثلت الواقعية الاجتماعية (النخلة والجيران) (خمسة اصوات) لغائب طعمة فرمان و(الوجه الآخر)و (الرجع البعيد) لفؤاد التكرلي و (الأيام المضيئة) لشاكر جابر .وهي اعمل جسدت الهوية العراقية والواقع العراقي فهي اعمال وجودية جاءت متأثرة بروايات غربية وعربية .

هذه الروايات جسدت تحولا على مستوى الاسلوب فكانت تتضمن مستويات تعبيرية وتكنيكية وان كانت بسيطة الا انها شكلت تحولا بالمقارنة مع ما سبق من روايات . . تمخضت تجربتهم عن التزام كامل بهموم الإنسان العراقي ومواجهة قضاياه المصيرية ، ووجد في الرواية أداة تعبير عظيمة تجسد طموحه في المواطنة.

(١١)الشاطئ الجديد ، عبد الرحمن مجيد الربيعي ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٨٣م : ٤٥

(١٢)لقد أصبحت أسماء معروفة لدى الأدباء والمثقفين، أمثال: محمود تيمور، توفيق الحكيم، طه حسين، عباس محمود العقاد، عبد القادر المازني، من العرب، و تشيخوف، غوركي، دستويفسكيوبوشكن، من الروس، وموباسان، أناتول فرانس، بلزاك، هيجو، من الفرنسيين وديكنز، ويلز، جورج ايليوت ، هاردي ، أوسكار وايلد ، من الانكليز ، وبراندياللو الايطالي ، وأونيل الأمريكي ، وبرنارك الألماني . إن هذا العدد الكبير نسبيا من الأسماء الأجنبية ، وفي هذه الحقبة المبكرة ، يعني بلا شك أن تطورا ملحوظا قد حدث في حركة الترجمة في مصر وبلاد الشام ، بل وحتى في العراق . من هنا كانت لأعمال بعض هؤلاء الكتاب تأثيرات مختلفة على كتاب القصة في البلد

(١٣)الرواية في العراق (١٩٦٥ – ١٩٨٠)وتأثير الرواية الأمريكية فيها ، د . نجم عبد الله كاظم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٧: ١٨-١٩

لكن ما شهدته الساحة الابداعية بعد عان ٢٠٠٣ ، له خصوصي واضحة من حيث ثقافة الروائي والاطلاع الواسع على النتاجات الغربية والعربية ونضوج فكرة الكتابة الروائية جعلت الساحة تعج بكتاب روائيين ، منهم من يشار اليه بالبنان ومنهم من كان ظهوره محض صدفة او مجاملة او محاباة .

شكلت الرواية العراقية بعد ٢٠٠٣م تحولا في النسج السردي الروائي ، فظهرت اعمال روائية اسهمت في تأسيس هوية الرواية العراقية ، وتجاوزت حدود المحلي الى العربية والعالمية من خلال ترجمة بعض الاعمال الروائية كما في روايات علي بدر ومحسن الرملي وسنان أنطون ولؤي حمزة عباس ولطفية الدليمي وسعد محمد رحيم واحمد السعداوي وانعام كجه جي وميسلون هادي وغيرهم الكثير، فضلاً عن وصول بعض الأعمال للقائمة القصيرة لجائزة البوكر العربية، مثل "يا مريم" لسنان أنطون، "فرانكشتاين في بغداد" لأحمد سعداوي، و"طشاري" لأنعام كجه جي و(مقتل بائع الكتب) لسعد محمدرحيم .

ولعل التغيرات الاجتماعية والسياسية اسهمت بشكل كبير في ظهور اقلام متمردة تبحث عن الحداثة وتحاول التجريب والظهور وعبور الحدود في سبيل اثبات الذات واثبات الهوية الاصلية للرواية العراقية .

هذا لا يعني ان الساحة خالية من الهفوات التأليفية والاقلام الطارئة على التأليف السردي ، والتي لا تشكل انتقالة بقدر ما هي نسج على منوال السابقين ، اقلام تنقصها الخبرة ، او كما وصفهم عبد الله ابراهيم (غشمة السرد) فهم احوج ميا كونوا الى التأني واعادة النظر بما يصدر .

ولعل تلك الغزارة كما ارى ما هي الا جزء من حرية الكتابة ، وزيادة عدد دور النشر بلا تحكيم او رقيب ، واخرى بسبب التغيير الحاصل في المنظومة السياسية والاجتماعية ، مما خلق نصوص مثقلة بسرديات التحول بما فيها من قتل وسلب وهجر وتهجير ، وظهور الاخر مكانيا وفكريا من خلال الاندماج ، وتجسيد لخبايا الانظمة السابقة واروقة السجون ومواقع التعذيب .

فتحولات الاسلوب ليست فعالية إبداعية ساذجة بل هي تجسيد لمتطلبات الواقع واستجابة لضرورة تاريخية ، ثقافية ، فنية ، استدعتها وهيأت لها ، ثم أشاعتها فيما بعد ، مجموعة من المؤثرات التي كانت تصطدم في الواقع العربي.

ولابد من تأكيد ان اغلب محاولات التجريب انصرفت المستويين أولهما: شكلي قائم على التجريب اللغوي والتقني و ثانيهما: قائم على تجريب الأفكار والموضوعات والرؤى . فهي تحولات كبيرة شهدتها الرواية العالمية، على نطاق واسع، وهناك من الروائيين من سعى الى تقليد تلك المسارات ليبقى حبيس تلك

المسارات ، في حين برزت اسماء مبدعة اخذت الرواية العراقية الى مصاف الرواية العربية والعالمية بجهدها متجاوزة التوجه الغربي لتخلق لذاتها مسارا تجريبا ، موظفة العديد من الموضوعات مثل الهوية الثقافية وتعدديتها والتهميش والاقليات والقضايا التاريخية المغيبة والمشكلات الاجتماعية المأزومة ضمن تقنيات لهم الاولوية في طرحها .فقد وظف الروائيون الخيال واللغة لإنجاز اعمال مهمة اثبتت نفتخر ونحتفي بها .

ويرى الناقد حسن السلمان أن تحول الرواية العراقية بدأ منذ أواخر تسعينيات القرن الماضي، فقد شهدت تلك المدة ولادة رواية تختلف كثيراً عن الموروث الروائي العراقي، إذ تخلصت الرواية الجديدة من أدبيتها المفرطة لغةً وتقاليدَ وأسلوباً، كذلك تخلصت من مونولوجيتها وذاتيتها ونخبويتها ومحليتها الصرفة وأجوائها الخانقة الضيقة الفضاء، باتجاه رواية تتمتع بلغة وسطى تواصلية بعيدة كل البعد عن الإفراط البلاغي والهوس اللامحدود بالتجريب، وانفتحت نحو آفاق ثقافية وإبداعية أكثر رحابة(١٤). وقدّم نماذج لرأيه هذا متمثلة بعلي بدر، الذي يعدّه عرّاب الرواية العراقية الجديدة، إذ أصبحت على يديه خطاباً نقدياً تفكيكياً للكثير من الأنساق الثقافية والاجتماعية والسياسية والمعرفية عبر رؤية واقعية وأسلوب يتميز بالتماسك والانضباط والوضوح، بعد أن تحولت الرواية عموماً مجالاً سردياً للعلوم الإنسانية، ومختبرا لتفكيك وفضح الكثير من الأنساق المضمرة التي كانت تتحكم بمختلف السياسات والمفاهيم كمفهوم الهوية والتاريخ والأمة وإعادة قراءتها سردياً في ضوء طروحات ما بعد الحداثة المختلفة المناهج والنظريات(١٥).

المحور الثالث

اسلوب الخطاب الروائي في روايات سعد محمد رحيم

يعد الروائي سعد محمد رحيم واحدا من الروائيين العراقيين الذين كانوا لهم خطوات تجريبية ناضجة ومقدرة سردية مكنته من تأسيس اسلوب متفرد وضع بصمة مختلفة تعرب عن ذاته المبدعة ، كان رحيم كما الرسام في بصمته فكل رواية تدلك عليه وتشير الى ما يؤمن به .

وفي هذا الموضع لابد من تأكيد ما تتسم به روايات رحيم من تعدد الاساليب وتداخل الاجناس الادبية والفنية والثقافية فضلا عن تجسيده للواقع الذي يظهر بتعبيرات مختلفة ومتنوعة وحوارات تميز اصحابها من

(١٤) www.alsabaah.iq/ArticleShow.aspx?ID=68596

(١٥) المصدر نفسه

حيث توجهاتهم الفكرية وكوامنهم النفسية ورؤاهم ومواقفهم واغراضهم ، فالرواية بما تعكسه من دلالات اجتماعية ونفسية تنطلق من اعتبار أن (الكلمة ظاهرة ايديولوجية بامتياز)

وعلى الرغم من ان الكاتب له اربع روايات الا اني ركزت على روايتين كتبهما بعد عام ٢٠٠٣ لتشكل انموذجا ناضجا لتجربة الروائي ، لذا سنحاول الوقوف على أهم الاساليب التي تمثلت في خطابه الروائي واهمها:

١- اسلوب السرد الصحفي
٢- الاسلوب الشعري
٣- الاسلوب الدرامي
٤- اسلوب التشظي

اولا: اسلوب السرد الصحفي :

لايمكن ان نغفل عما للظروف المحيطة بنا ولعملنا من تأثير على لغتنا سواء ، ولعل رحيم واحدا من الكتاب الصحفيين الذين هيمنت خبرتهم الصحفية على اسوب نسجهم للروايات ، ومن اهم تلك المهيمنات وجود شخصيات صحفية ، ووجود اسلوب صحفي يعتمد البحث والتقصي للوصول الى المعلومة الموثوق بها ،الى جانب اعتماد اسلوب الاغراء ؛ أي اغراء القارئ وتشويقه لما خفي وراء عنوانات الروايات والقصص.

فلو توقفنا ازاء عنوان رواية (مقتل بائع الكتب) مثلا نجده عنوانا قصيرا جذابا ويثير التساؤل عما اذا كان فحوى الرواية له علاقة بالعنوان ام لا ، وهل ان مضمون الرواية قصة بوليسية ام ماذا؟؟ولماذا يقتل بائع الكتب ؟؟

العنوان يحيل القارئ الى عبثية الفعل داخل الرواية ومن ثم الى غربة المثقف بسبب ما ساد الواقع السياسي والاجتماعي من انهيار قيمي واخلاقي

كذلك الاختيار الواعي لعنوان رواية (فسحة للجنون) التي تعرب هي الاخرى عن ذكاء صحفي في اختيار ما يجذب القارئ ، ويحيله الى اعترافات واقعية على لسان شخصية تعذبت لتصل الى مرحلة الجنون او تدعي الجنون لتستطيع العيش ، فسحة للجنون ، اذ يربط الجنون بالحياة والامل والخلاص من فئة ظالمة

تمثلت بنظام صدام حسين وحزب البعث ، وهذا ما نكتشفه ضمن الاسطر ، بعد ان تثار مجموعة من التساؤلات حول حقيقته ، تقول أنا جوبير ((إن الدخول في المعنى غير المباشر يعني اعادة تقييم المسار الدلالي))(١٦) .

ليس العنوان فحسب مثل الاسلوب الصحفي بل في اختياره للشخصية الصحفية لتروي الاحداث من وجهة نظرها كما فعل في رواية (مقتل بائع الكتب) فقد اختار شخصية (ماجد البغدادي) الكاتب في صحيفة (الضد) الذي يروي احداث الرواية بضمير المتكلم وبأسلوب مباشر اذ يشكل الراوي هنا الذات الثانية للكاتب فيلعب ضمير المتكلم دورا في الاندماج مع روح الكاتب(١٧) ((قبل اسبوع عند منتصف ليلة عاصفة وممطرة تلقيت مكالمة غريبة .. من وهن نبرته وبحّتها خمّنت أن من يخاطبني رجل تعدّى السبعين من عمره ..قال إنه يتابع كتاباتي في صحيفة (الضد)....انتظرت ان ينهي مكالمته غير انه راح يتحدث عن محمود المرزوق بائع الكتب الهرم الذي اغتيل قبل شهر في شارع الاطباء ببعقوبة))(١٨) هذه التخمينات والتساؤلات التي يشوبها الغموض جزء من سمات لغة الصحافة ،الى جانب ما ستؤول اليه اللغة داخل احداث الرواية وما يتمثل فيها من اسلوب البحث والتقصي والاستجواب حتى تشكل الرواية حلبة لتحقيق صحفي حول مقتل شخصية المرزوق والتي من خلالها نقف على احداث تاريخية وتقلبات اجتماعية ونفسية مختلفة .

ومما يميز الاسلوب الصحفي في روايات سعد محمد رحيم تجلي الافتراضات المسبقة ، وتتحقق عندما يشكل الحدث محور للتساؤلات الشائكة لا تمثل الحدث الحقيقي ولا يمكن معارضة وجوده لا من قبل المرسل ولا من قبل المرسل اليه ففي رواية (مقتل بائع الكتب)على لسان الراوي الشاهد نقرأ: ((هو لم يقل شيئا مباشراً ضد أحد . وتجنب موضوعة السياسة ،لكن في طيات حديثه كانت الاشارات السياسية مخاتلة ومربكة ..كان يسخر ، يتهكم ، واعرف انه في الحقيقة كان يتعذب .. تورطوا واستضافوه والان عليهم انهاء الامر باقل الخسائر))(١٩)

---

(16)Lalecturepragmatique,(A) Jaubert, p. 21

(١٧)ينظر : نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد ، عبد الملك مرتاض، سلسلة عالم المعرفة – الكويت ، ١٩٩٨م : ١٨٤-١٨٥

(١٨)مقتل بائع الكتب ، سعد محمد رحيم ، دار سطور – بغداد ، ٢٠١٦م: ٦

(١٩)مقتل بائع الكتب: ٣٣

هذه المداخلة وغيرها حاول من خلالها الروائي تهميش المحتوى الحقيقي الذي قد يشكل الصراع الحقيقي والمتضمنة عدم توافق السلطة مع المواطن ، فوسائل الاعلام المسيسة التي تدعي حرية الرأي هي واحدة من اهم الخسارات الاجتماعية التي تصدر ما يتوافق مع السلطة وتخفي ما لا يتوافق معها .

ولم يكتف بذلك بل انه وظف نمط التضمين المعتمد على الاستفهام والنفي كما في رواية (فسحة للجنون) يحاول الراوي العليم ان يسرد حدثا حول جمع حكمت او ما يسمى (بحكو) مجموعة من الحمير خوفا عليها من القصف : ((كم حمارا سليما ومعافى جمعها حكمت خلال نهار كامل من جولته بأكثر طرقات البلدة ؟ لا يدري ، وليس مهما أن يدري ..صحيح أن بعضها يعرج ، وبعضها مصاب بقروح ، الا انها جميعا مصممة كما يبدو على العيش ، وقابلة بالشروط المستجدة التي وضعها حكمت ، الحمير لا تهرب غالبا...ومع اشتداد القصف تبقى تلبث في مكانها كأن الامر لا يعنيها...))(٢٠) يجمع النص بين الاستفهام والنفي ليؤسس لخطاب موجه يحمل بين طياته دلالات اعمق تتمثل بالسخرية من الشعوب الراضخة للظروف والذين لا يملكون ارادة التغيير والمواجهة ، اذ يتخذ من الحمير كملفوظ ظاهر يتشكل مع النسيج النصي ليوصل الكاتب ما يرغب دون مخاطرة ، ولعل فسحة للجنون كانت فسحة للبوح بما هو مكبوت .

فتلك النقاط او الفراغات هي مساحات مسكوت عنها ومساحات مضمرة الدلالة تمنح القارئ حرية في وضح قراءته وتفسير ما يريده الكاتب .ولعل صورة الحمار هي صورة للمجاز الصحفي القائم على التكرار والاعادة لتثير انتباه القارئ كما يؤكد ذلك مارك ليتر : ((اذا كان المجاز هو فضاء للاستغراب ، فان حضوره المكرر في النص يؤدي الى اثارة انتباه القارئ ليستدل له أنه موجود في نوع مرمز ومعروف من قبله))(٢١) واعتمد ايضا الاقوال المضمرة بوصفها صورة من صور الخطاب الصحفي ليضفي على نصه الروائي بعدا جماليا ودلاليا ويدخل ضمن ذلك المجاز ، نذكر على سبيل المثال قوله (انها جميعا مصممة كما يبدو على العيش) (كأن الامر لا يعنيها) هذه الإضمارات مرتبطة بطريقة تفكير الكاتب الصحفية التي تشكلللنظام الادراكي الطبيعي لثقافتنا التي تتجسد في لغة وسلوك الشعوب .

ثانيا: أسلوب الخطاب الشعري

(٢٠)فسحة للجنون ، سعد محمد رحيم ، دار سطور – بغداد ، ٢٠١٨م: ٥٩

(21)Medias et societe, (M) Lits, p. 72

تتحقق اللغة الشعرية بفعل التجاوز والتمرد على اللغة التقريرية واليومية ، هي اللغة المتسمة بالشفافية والمشحونة ((بالتصوير بدءا من أبسط أنواع المجاز وصعوداً إلى المقطوعات الأسطورية الشاملة العامة))(٢٢).

ولا يخفى إن اللغة الشعرية لم تتوقف عند حدود الشعر إنما تسربت إلى لغة النثر الفني لاسيما القصصي ومنه الروائي .

ان اللغة الروائية عُرفت بالبساطة كونها موجهة الى شرائح المجتمع لذلك نجدها تعكس لغة تلك الشرائح المختلفة ، الا ان الروائي العربي اصبح يتفنن في صياغته ويرتقي بلغته الى مستوى الشعرية من خلال توظيف المهارات اللغوية والبلاغية ، لنطالع التصوير الفني والرمز والايحاء .

ولعل سعد محمد رحيم مثال على ذلك حتى ان رواياته لا تكاد تخلو من اللغة الشعرية او توظيف الاسلوب الشعري ، فقد تداخل عنده الشعري مع درامية الحدث الروائي ، مما اكسب رواياته طعما جديد متدفقا وغنيا ، فمثلا نجد لغته الواصفة تتمثل الشعرية الممتزجة مع النسيج السردي ، إذ يوظف تراسل الحواس والكناية والتشبيه وتداخل الاجناس الفنية حتى لتبدو كل قطعة وصفية كأنها نص شعري قائم بحد ذاته وحتى لا اتجنى على الشعر ، تقترب من قصيدة النثر.

ففي رواية (مقتل بائع الكتب) لاسيما ضمن ما اسماه الكاتب (كشف حساب) تقدم الشخصية بضمير الانا وصفا سرديا لذاتها من خلال سلسلة من الجمل الشعرية القصيرة والموحية : ((اتوه في ذاكرتي الخؤون ، ذاكرتي التي تعرضت للخيانة ..الطرقات كلها التي سارت بي ..الالوان التي رسمتني ، الاحزان والبلايا والضحكات والدموع والشهوات ، والمرافئ التي انقذتني من نفسي ، الظلال والروائح والغبار . والحبيبات اللائي هجرنني .. القرى والطيور والانهار ..السحاب والسواحل والمراكب . الاصدقاء ، النادرون كالعنادل البيض ، اولئك الجوف . القطارات التي سرتُ بها في شعاب العمر . والوجوه التي رسمتني ..ألف وجه لي ووجهك وجهي .. وجهي وجهك))(٢٣)

(٢٢) نظرية الادب ، اوستن ورين ورينيه ويلك ، ت: محي الدين صبحي ، المجلس الاعلى لرعاية الفنون ، مطبعة خالد الطرابيشي ، ١٩٧٢م : ٢٥
(٢٣)مقتل بائع الكتب : ١٥٠

إن الخاصية الشعرية في الوصف الروائي هي بمثابة صياغة فنية إبداعية تروم إحداث مجموعة من الخصائص الجمالية في النسق التعبيري الروائي، بمعنى أن الكاتب قام باستدعاء ما هو شعري لخدمة خطابه الروائي من جهة، ولخرق أفق المتلقي من خلال صور جمالية ترمز إلى شعرية الحياة وتمدها بملامح فنية وإبداعية جديدة ان اللغة الواصفة الممزوجة بالسرد تصور حال الانا / الشخصية والكيفية التي تعيشها من حيث الانقسام والاحتدام ، ومن حيث الصراع ما بين واقعها المعيش وذكرياتها المشوهة ، جاءت تلك اللغة ضمن سلسلة من الجمل القصيرة ذات الايقاع المتسارع والمثقلة بالدلالات التي لا تنفك ترتبط بالحدث والشخصية .

هذا التداخل بين السرد والوصف(*) . يقولفيه جيرار جينت : ((كل حكي يتضمن . سواء بطريقة متداخلة أو بنسب شديد التغيّر . أصنافاً من التشخيص لأعمال وأحداث تكوّن ما يوصف بالتحديد سرداً (Narration) هذا من جهة ، ويتضمن من جهة أخرى تشخيصاً لأشياء أو لأشخاص وهو ما ندعوه في يومنا هذا وصفاً (Description)))[٢٤] اي ان اغلب الحكي يجمع بين الحركات والتصوير.

وفي وصفه لناتاشا : ((لونت ناتاشا حياتي .. انتشلتني من شبكة العبث ، اللاجدوى ، اليأس .. ها هي واحدة لا تشبه أية أخرى من تلك اللواتي عرفتهن في مناسبات عابرة في السنين التسع الماضيات ..امرأة يمكنها إحداث زلزال حولك تعيد معه ترتيب أشياء العالم . تمنح الغبطة والاكتفاء . نورانية رحبة سخية كأنها خرجت من دفتي رواية تولستوي او من عمق لوحة لـ(غويا)))(٢٥)

تفيض شعرية النص هنا من شبكة العلاقات التي تنشأ من الفجوة مسافة التوتر التي تخلقها اللغة ، لتجعل المتلقي يتحسس مشاعر الشخصية ازاء ناتاشا ، حتى انه يلجأ الى توظيف المرجعية الفنية والادبية ليمنح اللفظ دلالة اعمق ويقرب صفات الشخصية من ذهنية المتلقي ليعي مدى ما تحمله من عاطفة وتفهم .

إن القارئ لرواية (فسحة للجنون) يجدها قد اعتمدت على اللغة الشعرية التي تتجلى في مجموعة من العناصر والمستويات التي تتوزع في بنيتها النسقية كالصور الفنية والصور البيانية التشبيهية والعبارات والتراكيب اللغوية، هذا فضلا عن اللغة ذات الحمولات الدلالية الرمزية. فمن أهم سمات اللغة الشعرية التي

(*)أشارت الناقدة سيزا قاسم إلى حدود التداخل بين السرد والوصف في كتابها (بناء الرواية) ، إذ قالت : ((هناك ولاشك نوع من التوتر بين الوصف الذي يتميز بالسكون ، والسرد الذي يجسد الحركة . فإنّ النص الروائي يتذبذب بين هذين القطبين . وهناك نوع من التداخل بين الوصف والسرد فيما يمكن أن نسميه بالصورة السردية ، وهي الصورة التي تعرض الأشياء متحركة . أمّا الصورة الوصفية فهي التي تعرض الأشياء في سكونها))

(٢٤) بنية النص الروائي من منظور النقد الأدبي ، الدكتور حميد لحمداني ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٣ ، ٧٨ .

(٢٥)مقتل بائع الكتب : ١٧٠

تجلت في السرد الروائي الصور الفنية المبنية على المجاز والاستعارات وعلى الدلالات الحسية ، فمثلا نجده يوظف اللغة الشعرية بشكل ملفت لا سيما في وصفه للأمكنة: ((البلدة في عجلة من امرها . ترحل بأشيائها وناسها . بأحلامها واوهامها .بحزنها وحسرتها . بقلقها . برعبها . بما تعدّه ثميناً له قيمة ما ولا يجب التخلي عنه . بما تراه مقدساً . بما تحسبه قد يُعنيها ، هناك ، في المرتقب والمجهول . بما تستطيع ان تحمل وتصطحب في مشهد الهرب الكبير . بما يسمح به الوقت . بما تستدعيه النباهة المثلومة في خضم دوي القنابل التي تقترب حينا ، وحينا تبتعد .وبذا بن يبقى سوى القمامة ، سوى ما يعجزون عن أخذه ، سوى جثة البلدة الباردة يمثّل بها مخلب الحرب))(٢٦)

إن المتأمل في هذه الجمل والتراكيب اللغوية يدرك مدى توظيف الكاتب لعناصر التشخيص والتجسيد وتراسل الحواس، حيث يجد القارئ أن الرواية تسير على هذا النسق السردي في اللغة لاسيما في وصف المكان ، كما يلاحظ أن هذه اللغة تقترب إلى حد كبير من لغة الصور الشعرية، من حيث اعتمادها على الإيحاء والتكثيف الفني ، هذا فضلا عن مجموعة من التراكيب غير المألوفة للسياق اللغوي، فقد اضفى الروائي للمكان صفات البشر ليمنح المكان احساس بالأحداث التي تشهدها فالمكان لم يكن حيزا بقدر ما يحمل من ذكريات والالفة اصبحت ضائعة وباردة بسبب الحروب وبسبب فراق الاحبة .

ولم يتوقف عند حدود الوصف السردي بل ان اللغة الشعرية جاءت ضمن قصائد قدمها على لسان شخصيته وضمن المذكرات : ((صباح ذو هديل ، معنى بين أصابعك ، ولحن هداك الى المرأة التي كانت،هذه أشياؤك على الطاولة ، بقايا ما زالت لك ، رغبات أطلقت سراحها ، أمل احتمل العاصفة ، ووجوه تتعثر في رأسك بحثاً عن أسماء))(٢٧)

إن هذه الصياغة اللغوية قد ساعدت الكاتب على تجسيد الدلالات والمعاني الرمزية الكامنة وراء هذه الجمل والعبارات التي أضفت على العديد من مقاطع الرواية روحا شعرية كان لها تأثير بالغ على نفسية المتلقي من جهة، وحققت شرط الشعرية ،فالقصيدة تجسد الامل المصاحب للقلق من الآتي ، جاءت منسجمة مع بناء الشخصية (علاء) او (حكمت) ، وتعزز حالة الانجذاب للمرأة التي يحب في مقابل

(٢٦)فسحة للجنون :٥

(٢٧)فسحة للجنون : ٥٤

خوفه من ان يكون شخصا عابرا في حياتها ، هذه القصيدة وغيرها وظفت ضمن آلية المذكرات التي أدت إلى دعم مسار السرد ، وكشفت عن خبايا مجهولة تتعلق بالشخصية .

ثالثا: الاسلوب الدرامي

تمتاز روايات رحيم باعتمادها الاسلوب الدرامي التراجيدي لاسيما في تركيزه على مصير الشخصية ،فرواية (مقتل بائع الكتب) امتازت بطابع درامي لاسيما في بحثها عن مصير شخصية ، فهي رواية شخصية بامتياز ، فالقارئ يجد نفسه امام بحث حول سبب مقتل المرزوق بائع الكتب الشخصية المثقفة الاشكالية صاحبة الفكر الشيوعي التحرري ،في زمن الفوضى لاسيما التخلف المجتمعي ، فالرواية تعكس تناقضا بين السلطة والمثقف ، فمن ناحية السلطة تعمد تغييب الثقافة عن مجتمعاتها ، وبالمقابل نجد المثقف ينظر للسلطة على انها تشن حربا على البسطاء وتتحكم بمصائرهم ، في حين تركز رواية (فسحة للجنون) على شخصية حكمت التي اصابها الجنون بعد ما تعرضت له من عنف وتعذيب من قبل ازلام البعث واتهامه بالفكر الماركسي والشيوعية واتهامه بانه يعد انقلاب او يخطط له ليتحول او يدعي الجنون ليحظى بفسحة للعيش .

وفي رواية مقتل بائع الكتب نجد السرد المسرحي يعطي انطباعا بان الجمهور يسمع ما يقوله لذا يثقل النص بأفكاره التي يتبناها ليقنع بها المتلقي ((اجاب بحدة ظاهرة : "سحقا للتاريخ ، التاريخ مثلما تقرأونه وتتخيلونه وتفهمونه ، لم أعد أؤمن به ..سيزعل العقيديون التاريخيون من هذا الكلام .. وماذا في ذلك .. فليزعلوا .. الزعل اكتشاف رائع كي نمضي في حياتنا بسلام اكبر .. ماذا لو لم يزعل منا الحمقى والاغبياء والاوغاد والسرسرية)) وفي موضع آخر نقرأ

((لكنا قطيعا من الكائنات الغبية التي تتقافز كالقردة ويفتك بعضها ببعض .. الحروب صناعة رجال .. اقول الرجال وانا اقصد المعنى السيء جداً للكلمة "تصفيق شديد))(٢٨)

غالبا ما يتبنى رحيم الاسلوب التهكمي الساخر من خلال رؤيته للعالم ، فالنص الروائي عنده محطة لإفراغ ما هو مكبوت ، وثورة من خلال الكلمة لإصلاح الواقع المعاش وتغيير ما هو سائد من جهل ورضوخ وقبول بالسير وراء القطيع ، فهو يبحث عن عقول وثوار حقيقيين للنهوض بالواقع المأساوي.

(٢٨)مقتل بائع الكتب : ٤٨

ويظهر الاسلوب المسرحي من خلال الخطاب الدرامي بضمير المخاطب(انت) وتوظيف الاستفهام الانكاري لتوعية العقول المستسلمة لكل ما تتعرض له ،((ماذا ستفعل حين لا تجد لقمة تسكت بها جوع أطفالك .. ستكون لصاً مسلحاً وإرهابياً .. وإذا منعك ضميرك ربما أقدمت على الانتحار ، ولكن ماذا سيفعل اولادك عندئذ ، وما الحل النطقي الذي سيخطر على بال زوجتك .. ماذا لو كنت متدينا وتعد الانتحار من الكبائر .. حلقة مفرغة ، أليس كذلك))(٢٩)

هذا الخطاب يتضمن رموز لمنظورات اجتماعية ، فيحاول الكاتب ان يكون له دور توجيهي وان كان بأسلوب ساخر نوعا ما ، ليحفز ذهنية المتلقي وشده لتغيير طابع الاستسلام ليؤسس لحياة كريمة يستحقها وتكون قائمة بجهوده .

ويدخل الحوار ضمن عناصر البناء الدرامي التي تسهم في مسار القص لما تمتلكه من وظائف اسلوبية تكسر رتابة الخطاب وتخليصه من الصياغة الاسلوبية الواحدة (٣٠) الى جانب دوره في كشف الافكار وتنمية الصراع ، إذ ((يعري الشخوص ويرهص بالاتجاه الذي تتخذه القصة فلا يعود مجرد وجهات نظر يمكن ان نستغني عنها لأنها لا تسهم في صياغة الصراع))(٣١)، فالحوار ليس بالضروري ان يكون دراميا ، انما يكتسب تلك السمة في حال تضمن معارضات وصراعات فكرية واجتماعية بعيدة عن التكثيف ،

ففي رواية (فسحة للجنون) ضمن قسم (استجواب آخر) يعرض الراوي مشهدا يجمع المحقق ب علاء والذي اصبح فيما بعد (حكمت) : ((

- انت مثقف
- لا ادري
- مثقف
- نعم
- أذا انت سياسي
- لا اشتغل بالسياسة

(٢٩)مقتل بائع الكتب : ٥٨

(٣٠)ينظر مفهوم التناحر ، تحديدات نظرية ، بشير القمري ، مجلة شؤون ادبية – الشارقة ، ع١١،١٩٩٠م:١٠٨

(٣١)في النقد القصصي ، عبد الجبار عباس ، دار الحرية للطباعة – بغداد ، ١٩٨٠م: ٩٧

- قرأت (ثورة في الثورة) لريجيسدوبرية
- نعم ، يباع في المكتبات
- نضال مسلّح وعنف ثوري
- ينظر لوضع امريكا اللاتينية
- لوضع حركة المقاومة المسلحة في امريكا اللاتينية
- نعم
- هذا الكتاب يمكن انيكون إنجيل الثوّار في كل مكان

أحس عامر بانقباض في أحشائه .. رمش بعينيه ولم يحر جوابا .. لم يجد جملة الردّ المناسبة))(٣٢)

ولم يبتعد رحيم عن اسلوبه في مقتل بائع الكتب ، فالحوار يكشف مصير الشخصيات المثقفة مع السلطات الدكتاتورية ، وما يتعرض له من اضطهاد وتعذيب من قبل السلطة المستبدة والمتحكمة حتى في نوعية قراءاتهم .فهي حرب ضد الثقافة .الى جانب ذلك يعمد الى كشف التاريخ المضمر للسياسات الحاكمة قبل ٢٠٠٣ والتي حاولت ان تجرد الشباب من افكارهم وطموحاتهم ، والتي غالبا ما تبحث عن عقول مسيسة

خامسا: أسلوب التشظي في السرد

شهدت روايات رحيم تطورا مهما منذ اول رواية الى اخر رواية صدرت قبل وفاته ، فقد احدث تحولا كبيرا في الاسلوب ، فكانت خطواته التجريبية تعتمد التنويع والتشظي الذي كسر به رتابة السرد وتقديم ما هو سائد من سرود واثبات التميز وتأسيس لبصمة في العمل الروائي ، وبما ان رواياته هي روايات شخصيات ، فن الروائي قدم شخصياته بأساليب عدة ، ففي رواياته ، نجد السرد يتفكك وينقسم الى مقاطع منسجمة ومتداخلة ، ربما يجدها بعض النقاد عيبا كونها شتت القارئ وجعلته يتبعثر في قراءته للرواية وعدم الاسترسال فيها ، الا اني اجدها رواية اقتربت من تكنيك القصة القصية ومن ناحية حاولت تقديم سرد تجريبي يشكل حاضنة لأفكار توجيهية واساليب داعمة للبناء السردي المتتابع ، حاول الكاتب من خلالها توظيف بعض تقنيات الشعر والتوليف السينمائي فضلا عن المذكرات واللوحات والصور والرسائل واليوميات والحلم والتسجيلات والبريد الالكتروني ليعطي ل القارئ كم من المعلومات حول شخصياته

(٣٢) فسحة للجنون : ١٢١-١٢٢

التي يترك لها مساحة من الغموض ليسترسل في كشفها وليمنح الفرصة لقلمه ليؤدي دوره التوعوي الاصلاحي .

لعل اول اشكال التشظي يكمن في توظيف الكاتب للصور كتكنيك ووسيلة لتعدد الاصوات وتعدد مستويات السرد ، ففي القسم الثالث يمهد لهذا التكنيك من خلال اخراج مصطفى كريم من((محفظته الجلدية القهوائية اللون ثلاث صور وناولها لي .اثنتان ملونتان ، حديثتان نسبيا ، وواحدة قديمة بالأسود والابيض وكلها لمحمود مرزوق))(٣٣)

فيقدم الراوي وصف للصور في حين يربط مصطفى الصور بالأحداث التي ارتبطت بحياة المرزوق

فيتخذ مصطفى كريم موضع الراوي الذي يقدم سردا وصفيا لتلك الصور التي تضيف الى مسار الرواية وتدعم بحث ماجد البغدادي وتعكس التحولات المصيرية للمرزوق فكل صورة تعكس فترة زمنية مختلفة عن الاخرة فمثلا الصورة القديمة يصفها الراوي بانها ((باهتة ، يظهر فيها شاباً ق الرأس ، يرتدي بنطالاً عريضاً وقميصاً أدكن بأكمام قصيرة ، يقف امام أجمة من النباتات عند نهر ديالى . ويرفع بيده اليمنى كأساً مملوءة بشراب حليبي ؛ عرق على الارجح ..اللقطة مأخوذة من تحت ويبدو فيها طويلاً ..ينظر الى الكاميرا باسماً ، مع مسحة من الخجل ..))(٣٤)

ويقدم مصطفى سردا وصفيا للصور التي تعكس احداث مرت بالمرزوق واثرت على شخصيته : ((الصورة ألتقطت بعد اطلاق سراحه من سجن نقرة السلمان في العام ١٩٦٨ . هذا بستان في بهرز وقد قام له اصدقاؤه اليساريون يومها حفلة بالمناسبة ..هناك صور اخرى من الحفلة نفسها يظهر فيها اشخاص ، ويحتفظ بها الرسام سامي الرفاعي الذي هو الان في هولندا .. يمكن ان يصورها بالسكنر ويرسلها بالبريد الالكتروني))(٣٥)

يوظف الحوار التلفزيوني ليكشف عن توجهات المرزوق وميوله : ((لم يمت في حريق ، مات غدرا ، في هذا الجنون الوطني .. هو لم ينخرط بلعبة الاحزاب والسياسة ، وأظن لمقتله علاقة بآرائه .. كان يجهر برأيه ضد

(٣٣)مقتل بائع الكتب :١٥

(٣٤)الرواية : ١٥

(٣٥)الرواية : ١٥

الجميع ويسخر مرّة ..فيما أصدقاؤه وزبائنه ينقلون تلك الاراء كأنها نكات بريئة ..ثق هنالك من يقتلون بسبب كلمة واحدة ..مات ولم يحقق أحد وصيته))(٣٦)

ويوظف اليوميات المكتوبة من تاريخ ٤/٩/ ٢٠٠٣ والتي اسماها بيوميات الخراب وتضمن ((احد عشر تخطيطا اغلبها لوجوه انثوية ، لا يوجد بينها اثنان متشابهان .. في الكرّاس ايضا اسكيتشان للوحتين يبدو انه لم يترجمهما الى لوحات ..الاول يُظهر اشجاراً منحنية في عاصفة سوداء الثاني يصوّر امرأة مقذوفة من ارجوحة معلّقة بين نخلتين نحو السماء البعيدة))(٣٧)

توظيف اليوميات :((١٢نيسان سلب ونهب ..عالم مجنون ..الجو حار ..المدينة بلا حكومة ..لم نرَ جنديا امريكياً بعد ..قال لي الصيدلاني الذي اشتريت منه حبوباً اضافية للضغط انه خائف ، الامور لا تبشر بخير ..قال لي عبد الله ؛ خلصنا ، سيكون كل شيء جيدا ..قلت للصيدلاني ؛ لاتخف ربما اصبح كل شيء جيداً ..قلت لعبد الله ؛ لا اظن سيكون أي شيء جيدا مع اليانكي ..))(٣٨)

ويذكر في موضع آخر : ((١ايار عيد العمال !!!..شعب بكامله عاطل عن العمل ..البطالة الكاملة ..أنا في شك من معرفة ماركس وكينز بمثل هذا الاصطلاح....))(٣٩)

هذه السلسلة من اليوميات هي اسلوب تميز به رحيم ليقدم تقدا اجتماعيا لواقع كل يوم وليعرض عيوب المجتمع على شكل مقتطفات ، لعل هذا الاسلوب هو الانسب لاستيعاب مشاكل المجتمع ومآسي الانسان البسيط وضياع الثقافة والمثقف .

كذلك الحال في رواية فسحة للجنون اذ نجد توظيف للصور والمذكرات والمقطوعات الشعرية والخوطر ((روحي بلادي ، بلادي شمس تمشي في الحر ، الشمس تعطس ، ابحث عن بلادي ، الحرب دخان))(٤٠)

---

(٣٦)مقتل بائع الكتب:٣٧

(٣٧)مقتل بائع الكتب:٤٦

(٣٨)مقتل بائع الكتب: ٤٧

(٣٩)مقتل بائع الكتب: ٤٩

(٤٠)فسحة للجنون :١٥١

هذا المقطع ومقاطع اخرى وردت في دفتر حكمت قبل ان يدعي الجنون ، وهي وسيلة لكشف بناء الشخصية وفكرها واهتماماتها ، ليقف المتلقي على عبثية السلطة في تدمير طموحات شبابه .

من اشكال التشظي ظهور صوت الكاتب في ثنايا الرواية ليفكك قوانينه الهيكلية الناظمة له ، من أجل كشف فوضى الوجود المعاصر ، فمثلا نقرأ :((للحرب وجهان: وجه بشع، متوحش، مؤلم ووجه انساني بحت والإنسانية والتوحش وجهان لعملة الحرب!كل منا نظر إلى الحرب من زاويته وكتب، فالحرب لم تكن مجرد توظيف روائي في كتاباتنا بل هي الحقيقة الوحيدة التي أحرقت نصف أعمارنا وشبابنا!))(٤١)

وفي فسحة للجنون نطالع : [إن كنت لم تدرك بعد ماذا يجري فارجع عزيزي القارئ الى فصل (لصوص الحرب) في هذه الرواية لتعرف أن حكمت يتذكر تلك الليلة من أوائل الحرب ، حيث تلقى ضربا غير رحيم ، في سوق البلدة من لصوص اربعة ، وكسرت له سن .. هذا الرجل المرتبك ، الجالس بين اثنين يضعان عقالا على ارأسيهما ، هو واحد من اولئك الاربعة الاوغاد وعذرا لهذا التدخل من قبلي ؛ أنا الراوي العليم بكل شيء](٤٢)

من هذه الامثلة السابقة يتضح لنا اسلوب التشظي الذي يعكس مستويات لغوية وتكنيكية وهي سمة اسلوبية لدى الكاتب وتمثلت في كل رواياته حتى شكلت بصمة تأليفية ، ربما اراد الكاتب ان يكسر مسار السرد التقليدي ويخفف وتيرة الملل عند المتلقي ر، او ربما ان الروائي فقد السيطرة على خيوط السرد كما حصل في بعض المواضع من رواية مقتل بائع الكتب ، او لربما قصر نفس الكاتب بفعل الاعتياد وممارسته الكتابة المقالية القصيرة والقصة القصيرة انتقل الى كتابة الرواية لذلك نجد تنقل من تكنيك الى آخر .

وفي اغلب الاحيان اشعر بان الكاتب اتخذ من الرواية محطة لتفريغ كل مكنوناته وافكاره وما يؤمن به على مستوى السياسة والاجتماع والدين ، ليشكل انجيله .

(٤١)مقتل بائع الكتب :٧٢

(٤٢)فسحة للجنون : ٢٧٥

الخاتمة

ان مسيرة كل بحث لابد لها من خاتمة تستحق التفصيل ولعل موضوعة اسلوب السرد في الخطاب الروائي العراقي تمخضت عن مجموعة من النتائج وهي كالاتي:

تشكلت رايات رحيم على مجموعة من الاساليب التي ميزت خطابه الروائي اهمها

١- تجسد الاسلوب الصحفي ليشكل ميزة كتابية وهي مستمدة من طبيعة عمله الاساس في الصحافة ، ظهر ذلك في اختياره للعناوين القصيرة ذات الدلالة العميقة والمثيرة للتساؤل ، فضلا عن عن ظهور الافتراضات المسبقة والاقوال المضمرة بوصفها صورة من صور الخطاب الصحفي ليضفي على نصوصه بعدا جماليا ودلاليا.

٢- وظف رحيم الاسلوب الشعري ، من خلالالمهارات اللغوية المجازية ليؤسس للغة شعرية قائمة على تراسل الحواس والكناية والتشبيه وتداخل الاجناس ، لا سيما في وصفه للأمكنة والشخصيات ووصفه للحالات النفسية حتى لتبدو كل قطعة وصفية كأنها قصيدة نثر ،الى جانب عرض قصائد على لسان الشخصية عبر آلية المذكرات .

٣- كان للأسلوب الدرامي حظوة ضمن النسج الكتابي لروايات رحيم ، فقد عني بمصائر شخصياته وهي سمة درامية ، فضلا عن مواجهة المتلقي على نحو مباشر من خلال استعمال ضمير المخاطب (انت) لنجده يؤنب ويوجه وباث لأفكار سياسية واجتماعية وتارة نجده يأمر المتلقي لاتخاذ قرار يغير من واقعه.

الى جانب الاسلوب الساخر والرمزي الذي شكل بنية سطحية لما هو اعمق فقطيع الغنام والحمير والكلاب ، كلها صورة من صور لوم الشعب على السكوت، وهي رموز اراد بها رحيم تحفيز وعي المتلقي واثارة الغيرة الوطنية لتغيير الواقع .

ومن الامور المهمة في خطاب رحيم الروائي محاولته لكشف المضمر للسياسات السابقة من خلال لغة درامية واعية .

٤- اما اسلوب التشظي فشكل خطوة تجريبية مثيرة للتساؤل، فقد اعتمد فيه رحيم على عدة تقنيات تجسدت على مستوى اللغة لتستقطب العديد من الايديولوجيات والاحداث التي مر

بها البلد وخلقت تناقضا وازمة على المستوى الاجتماعي والنفسي ، ومن تلك التشظيات توظيف اليوميات والصور واللوحات والتسجيلات والحلم والرسائل الالكترونية وظهور صوت الكاتب .

قائمة المصادر

- اسلوبية الرواية ، حميد لحمداني ، دار النجاح – الدار البيضاء ، ط١، ١٩٨٩م
- بلاغة الخطاب وعلم النص.صلاح فضل ، الشركة المصرية العالمية للنشر. لونجمان. ط١. ١٩٩٦ م .
- بنية النص الروائي من منظور النقد الأدبي ، الدكتور حميد لحمداني ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٣ م.
- الرواية في العراق (١٩٦٥ – ١٩٨٠)وتأثير الرواية الأمريكية فيها ، د . نجم عبد الله كاظم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٧م
- الشاطئ الجديد ، عبد الرحمن مجيد الربيعي ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٨٣م
- شعرية الرواية الفانتاستيكية ، شعيب حليفي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر–العاصمة ، ٢٠٠٩ م.
- فسحة للجنون ، سعد محمد رحيم ، دار سطور – بغداد ، ٢٠١٨م.
- في النقد القصصي ، عبد الجبار عباس ، دار الحرية للطباعة – بغداد ، ١٩٨٠م.
- الكتابة من مواقع العدم(مساءلات حول نظرية الكتابة).، عبد الملك مرتاض ، دار الغرب للنشر والتوزيع. د. ط،٢٠٠٣.
- مقتل بائع الكتب ، سعد محمد رحيم ، دار سطور – بغداد ، ٢٠١٦م.

- معجم المصطلحات الادبية ، مجدي وهبة ، مكتبة لبنان – بيروت ،١٩٧٤م .
- نظرية الادب ، اوستن ورين ورينيه ويلك ، ت: محي الدين صبحي ، المجلس الاعلى لرعاية الفنون ، مطبعة خالد الطرابيشي ، ١٩٧٢م
- نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد ، عبد الملك مرتاض، سلسلة عالم المعرفة – الكويت ، ١٩٩٨م.
- : نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير ، جيرار جنيت وآخرون ، تر : ناجي مصطفى ، ط١ ، منشورات الحوار الاكاديمي والجامعي ، الدار البيضاء ، ١٩٨٩م

المصادر باللغة الانكليزية :

- La lecture pragmatique,Jaubert(A),Hachette,Paris,1990.
- Recits,medias et societe ,Lits (M) ,Brylant Academia, Louvain-la-neuve Belgique,1996.
- Figure III , Editions le seuil ,Genette (G),Poetique ,paris,1972,

الدوريات

- سيميائية الخطاب الروائي، حسين خمري، مجلة: تجليات الحداثة.معهد اللغة العربية وآدابها. جامعة وهران. العدد الثالث. ١٩٩٤.
- مفهوم التناحر ، تحديدات نظرية ، بشير القمري ، مجلة شؤون ادبية – الشارقة ، ع١١ ، ١٩٩٠م

مواقع الانترنت:

www.alsabaah.iq/ArticleShow.aspx?ID=68596